

## الفصل الأول

### الحالة العلمية والدينية لنجد وقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية قد جاءت في وقت اشتدت فيه غربة الإسلام، وانطمست فيه كثيرٌ من معالم الرسالة، لا سيما في نجد وما جاورها، حتى تتابع العلماء والمصلحون والمؤرخون على ذكر هذه الغربة، وكثرت النداءات والصيحات الداعية لإصلاح الأحوال واستنهاض همم أهل العلم والعزم.

ومَنَّ أسهب في ذكر الحالة العلمية والدينية في نجد بالخصوص، وفي بلاد المسلمين بالعموم، العلامة المؤرخ أبو بكر حسين بن غنَّام الإحسائي<sup>(١)</sup>.

### وصف ابن غنَّام للحالة الدينية لنجد قبل ظهور الدعوة

قال ابن غنَّام -رحمه الله- في وصف الحالة الدينية لنجد قبل ظهور الدعوة:

(كان غالب الناس في زمانه متضمِّخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأنجاس، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنَّة المطهرة بالأرماس، وإطفاء

---

(١) هو الشيخ العلامة حسين بن أبي بكر آل غنام المالكي مذهباً التيمي نسباً. ولد ببلدة المبرز بالإحساء سنة ١١٥٢هـ، وتلقَّى العلم على أيدي علمائها، ثم تأثر بمبادئ الدعوة الإصلاحية ورحل إلى الدرعية، فقدم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود فأكرماه. وقد تلقَّى العلم على يد الشيخ وأبنائه، كما استفاد تلاميذ الشيخ منه لا سيما في علوم اللغة العربية والأدب، منهم: حمد بن ناصر بن معمر وسليمان بن عبد الله بن الشيخ وعبد الرحمن بن حسن. ويُعدُّ ابن غنَّام مؤرِّخ الدعوة الأول، ويعتبر تاريخه من أهم ما كُتِب في تاريخ الدعوة وصراعها مع خصومها، حيث جعله قسمين: الأول في سيرة الشيخ ومؤلفاته ورسائله، والثاني في تاريخ الدعوة وصراعها مع خصومها، وقد أرَّخ فيه من تاريخ انتقال الشيخ إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ إلى سنة ١٢١١هـ. توفي رحمه الله سنة ١٢٢٥هـ. انظر: «علماء نجد في ثمانية قرون»

نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوي البصائر والبصيرة، والألباب المضئية المنيرة،  
وغلبة الجهل والجهال، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال...

فعدّلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدّوا  
في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة الكوارث، وأقبلوا  
عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات،  
وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات كالأحجار والأشجار، ويتتابون ذلك في  
أغلب الأزمان والأوقات، ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات، فهم على تلك  
الأوثان عاكفون، ولها في كثير الأحيان ملازمون...

وقد نصّ عليه كثير من العلماء الأعلام في كتبهم المصنّفة فيما حدث من البدع  
من الأنام، وما غيّرُوا من منار الدين والإسلام...

وكان أكثر الناس على دعوة الأنبياء والصالحين الأحياء منهم والميتين،  
مُجدِّين مجتهدين، وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين...

وكان في بلدان نجد من ذلك أمرٌ عظيم، والكلُّ على تلك الأحوال مقيم،  
وفي ذلك الوادي مُسيم...

وكان ذلك في الجبيلة مشهوراً وبقضاء الحوائج مذكوراً، وكذلك قرئوه في  
الدرعية<sup>(٢)</sup> يزعمون أنّ فيها قبوراً، أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً، فصار حظهم  
في عبادتها موفوراً، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون، {أَفْكَأَ آلَهُ دُونَ اللَّهِ

---

(٢) (وقريوة شعب صغير جداً يمتد من الشرق إلى الغرب وينتهي ببعض المزارع، وهو أول شعب يأتي على يمين السالك  
لمخرج محافظة الدرعية الجنوبي). مقال «أماكن يُتبرك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية» للدكتور: عبد الحكيم بن  
عبد الرحمن العوّاد. صحيفة الجزيرة، عدد (١٢٥٨٢)، ٢١ صفر ١٤٢٨ هـ.

تُرِيدُونَ}، وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، وأفخم عندهم رجاء ورغبة، فلذلك كانوا في طلب الحاجات بهم يتدؤون، {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}، وفي شَعْب غبيرا<sup>(٣)</sup> يُفعل من الهجر والمنكر ما لا يُعهد مثله ولا يُتصوّر، ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور<sup>(٤)</sup>، وذلك كذب محض وبهتان مُزور مثله لهم إبليس وصور، ولم يكونوا به يشعرون، وفي بليدة الفدا ذَكَرَ النخل المعروف بالفَحَّال<sup>(٥)</sup>، يأتونه النساء والرجال ويفدون عليه بالبُكر والآصال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، ويتبركون به ويعتقدون، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتها لنكاحها الأزواج، فتَضُمُّه بيديها بحضور ورجاء الانفراج، وتقول: يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل أن يحول الحول، هكذا صحَّ عنهم القول، {وَزَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. وشجرة الطَّرْفية<sup>(٦)</sup> تشبَّث بها الشيطان واعتلق، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق، ويعقلون فيها إذا ولدت المرأة ذكراً الخرق، لعلهم عن الموت يَسْلَمُونَ، وفي أسفل الدرعية غارٌ كبير يزعمون أن الله تعالى فَلَقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير<sup>(٧)</sup>، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودَعَت الله فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، وكان تعالى لها

---

(٣) (يقع الشَّعب في شمال الدرعية، وهو شعب يمتد من الغرب ويدفع شرقاً ليلتقي مع وادي حنيفة). الموضع السابق

(٤) (والقبر لا يُعرف موضعه الآن... والصحيح أنه لم يثبت استشهاد الصحابي الجليل ضرار بن الأزور رضي الله عنه في حروب اليمامة، بل قيل: إنه اشترك بعدها في معركة اليرموك بالشام سنة ١٣هـ). الموضع السابق

(٥) (وقد كان يوجد في شَعْب البليدة، وهو شَعْب يمتد من الغرب إلى الشرق ليلتقي بوادي حنيفة مقابل بلدة غصيبة التاريخية، وهو موازٍ لشعب غبراء من جهة الجنوب). الموضع السابق

(٦) (يبدو أنها من شجر الطرفاء التي تشبه الأثل، وكانت قديماً تقع في شَعْب البليدة السابق ذكره، غير بعيدة عن فحل الفحول). الموضع السابق

(٧) (ويُسمَّى أيضاً غار الغاشمية، ويقع الآن في طرف الدرعية الجنوبي في الجهة الجنوبية لضفة شعب الغاشمية الواقع ضمن نطاق مزرعة الملك خالد - رحمه الله - المسماة «المغتر» المواجهة لمنطقة الملييد). الموضع السابق

من ذلك السوء وَجِير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون، {قَالَ  
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٨)...

وكذلك ما يُفعل الآن في الحرم المكي الشريف زاده الله تعالى رفعة وتشريفاً  
فهو يزيد على غيره وينيف...

فمن ذلك ما يُفعل عند قبر المحبوب، وقبة أبي طالب (٩)، وهم يعلمون أنه  
شريف حاكم متعد غالب، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراج  
ومطالب، فإن أُعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معادياً ومحارب، وكذلك عند  
قبر المحبوب، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب؛ لأنه عندهم المُقَرَّب المحبوب،  
فلهذا كانوا من شره يحذرون، وإن دخل مُتَعَدُّ أو سارق أو غاصبٌ مالاً قبر أحدهما  
لم يَتَعَرَّضْ له أحدٌ من الرجال، ولا يَخْشَى معاقبةً ولا نكال، ولا يُتَوَصَّلُ إليه بما يكره  
ولا يُنال...

ومن ذلك ما يُفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها بِسَرَفٍ،  
وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلّى، مما لا يسوغ... (١٠).

---

(٨) وجاء في بعض مخطوطات تاريخ ابن غنّام: (وفي الدرعية أيضاً قبر يُسمّى قبر المغربي، يأتونه لقضاء الحوائج والأغراض،  
ورفع الأسقام والأمراض، وكان أكثر أولئك الطعام يهدون للجنّ الطعام، ويقولون اقبلوا هديتنا وابروا شكيتنا وشبه هذا  
الكلام ويذبحون لهم ويتقربون). انظر: مقال «عود على بدء روضة الأفكار والأفهام للشيخ ابن غنّام» للدكتور عبد الله بن  
محمد المنيف، صحيفة الجزيرة، ٩ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ، العدد (١٥١٠٩)

(٩) قبة مبنية على قبر الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي في مقبرة المعلاة بمكة، وكان قد تولى الشرافة في مكة بين عامي  
(١٠١٠-١٠١٢ هـ)، وقال سليمان بن سحمان: (إنه شريف حاكم متعد غالب، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من  
المال خراج ومطالب، فإن أُعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معادياً ومحارب)، «البيان المبدي لشناعة القول المجدي»  
سليمان بن سحمان ص ١٧

(١٠) «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» ١/١٣-١٣

ثم ذكر ابن غنّام ما يُفعل عند قبر ابن عباس رضي الله عنه في الطائف، وما يُفعل في المدينة عند قبره صلى الله عليه وسلم، وما يُفعل عند قبر حمزة رضي الله عنه في البقيع، وما يُفعل عند قبر حوّى المزعوم في جدّة، وقبر العلوي، وما يُفعل في بلدان مصر، وفي اليمن: البرع والهجرية والشحر وحضرموت ويافع وعدن وبلدان الساحل والحديدة واللّحيّة ونجران، وما يُفعل في حلب ودمشق والموصل وبلاد الأكراد، وما يُفعل في النجف وكربلاء والبصرة والزبير، وما يُفعل في القطيف والبحرين.

وقال عثمان بن بشر<sup>(١١)</sup> -رحمه الله- في وصف الحالة العلمية والدينية في نجد قبل وقت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب: (وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها، والاستعاذة بالجن والنذر لهم وَوَضَعَ الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مريضهم ونفعهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر)<sup>(١٢)</sup>.

## أقوال العلماء في وصف الحالة العلمية والدينية في بلاد الإسلام قبل ظهور الدعوة

---

(١١) هو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر الحرقوصي، من قبيلة بني زيد القضاعية القحطانية. ولد في بلدة جلاجل في إقليم سدير سنة ١٢١٠هـ، وقد انتقل إلى الدرعية فتلقّى على يد علمائها منهم: إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب وإبراهيم بن سيف وعثمان بن عبد الله بن منصور وغيرهم. له عدّة مؤلفات من أشهرها كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وقد أرّخ في الفترة ما بين: ١١٥٧-١٢٦٧هـ ضمّن خلالها كثيراً من السوابق. ويُعدّ تاريخه من أجمع وأوثق وأعدل ما صُنّف من تواريخ نجد، حتى قال الأستاذ حمد الجاسر: (إنّ «عنوان المجد» هو خير كتاب ألّف في موضوعه على ما فيه). وقد اختصر ابن بشر كتابه هذا في مختصرٍ موجودٍ ضمن «خزانة التواريخ النجدية». توفي -رحمه الله- سنة ١٢٩٠هـ.

(١٢) «عنوان المجد في تاريخ نجد» ٣٤/١

## أولاً: مقالات العلماء المعاصرين لفترة الدعوة وما قبلها

لم ينفرد هذان المؤرّخان بهذا الوصف للحالة العلمية والدينية في نجد وما جاورها في فترة الدعوة وما قبلها، المنبئ عن غلبة الجهل، وعِظَم البعد عن أحكام الشريعة، بل وافقهما كلّ من عاش تلك الحقبة من العلماء، وعان ما عليه العامة والدهماء، وَوَقَف على ما عمّ وذاع في القرى والأمصار من البدع والضلالات والشركيات والجهالات.

ولعلنا نشير إلى بعض مقالاتهم:

### الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)

قال رحمه الله - في مقدمة رسالته «تطهير الاعتقاد» متحدثاً عن تلك الفترة من التاريخ: (فهذا «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وَجَبَ عَلَيَّ تأليفه، وتعيّن عَلَيَّ ترصيفه؛ لِمَا رأيته وعلمته من اتّخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء ممن يدّعي العلم بالمُعَيَّيات والمكاشفات)<sup>(١٣)</sup>.

ومثله وأبلغ منه ما ذكره:

### حسين بن مهدي النُعمي اليماني (ت: ١١٨٧هـ)

قال - رحمه الله - في كلام طويل يصف به حال ما عليه أكثر الناس من الشرك والتعلّق بالموتى: (ومن تكلم بمثل هذا لا يدري ما فشا في العامة، ومن امتاز عنهم بالاسم فقط، وما صار هِجِّيراهم عند الأموات ومصارع الرفات: من دعائهم

---

(١٣) «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» ص ٤٨

والاستغاثة بهم، والعكوف حول أجداثهم، ورفع الأصوات بالخوار، وإظهار الفاقة والاضطرار، واللجأ في ظلمات البحر والتظام أمواجه الكبار، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال...

إلى قوله: فَإِنَّ الْعَامَّةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ حَالَاتِهِمْ وَتَقْلِبِهِمْ قَدْ أَبَدَلُوا مَعَالِمَ الشَّرْعِ بِسَوَاهَا فِي هَذِهِ الْجِهَةِ، فَجَعَلُوا الذَّهَابَ إِلَى قُبَةِ الشَّيْخِ وَالتَّضَرُّعَ لَهُ وَالْإِلْحَاحَ عَلَيْهِ: عَوْضًا عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ لِلْإِسْتِسْقَاءِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ فِي كَشْفِ تِلْكَ النَّازِلَةِ أَوْ سَبِيلًا إِلَى كَشْفِهَا، مِثْلَ الْخُرُوجِ لِلتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ عِنْدَ بَعْضِهِمْ. وَأَمَّا جُمْهُورُهُمْ فَلَا يَعْرِفُ لِهَذَا الْمَقَامِ سِوَى عَتَبَاتِ الْمَشَايخ...

إلى قوله: وشواهد هذا ظاهرة في حالاتهم تلك، بحيث إن جماهير من العامة لَا يُحْصَوْنَ فِي أَقَالِيمٍ وَاسِعَةٍ، وَأَقْطَارٍ مُتَبَاعِدَةٍ، وَنَوَاحٍ مُتَبَايِنَةٍ، لَمَّا كَانُوا قَدْ نَشَأُوا لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالشُّيُوخِ مِنْ هَذِهِ الْعُقَائِدِ الْوُثْنِيَةِ وَالْمَفَاسِدِ، فَتَجَدَّهُمْ إِذَا شَكَّى أَحَدُهُمْ عَلَى الْآخَرِ نَازِلَةً نَزَلَتْ؛ فَلَعَلَّهُ لَا يَخْطُرُ لَهُ فِي بَالٍ؛ إِلَّا: هَلْ قَدْ ذَهَبَتْ إِلَى الْوَلِيِّ؟...<sup>(١٤)</sup>.

وقد أفاض النُّعْمِيُّ - رحمه الله - في ذكر أحوالهم، وسَرَدَ بعض قصصهم في هذا النوع من الشرك الأكبر والتعلق بالأموات والاعتقاد فيهم بما يشيب له الرأس.

علامة الشام محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨ هـ)

قال - رحمه الله -: (فما بالك بعصرنا هذا الذي نحن فيه، وقد انطمست معالم الدِّين، وطُفِّئَتْ إِلَّا مِنْ بَقَايَا حِفْظَةِ الدِّينِ، وَحَاكُمُهُمْ مَتَمَادٍ فِي غَفَلَاتِهِ، وَأَمِيرُهُمْ لَا

---

(١٤) «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» ص ١٦٩-١٧١، وقد أفاض في ذكر أمثلة من شرك العامة تقشعر منها الأبدان وتشمئز منها القلوب السليمة (ص ١٦٩-١٨٥)

حِلْمٌ لديه ولا دين، وَغَنِيَّهُمْ لا رَأْفَةَ عنده ولا رَحْمَةً للمساكين، وفقيرهم متكبر، وَغَنِيَّهُمْ متجَبَّر... فلو رأيت جموع صوفية زماننا وقد أوقدوا النيران، وأحضرُوا آلات المعازف بالدفوف المجلجلة، والطبول والنايات والشباب، وقاموا على أقدامهم يرقصون ويتميلون، لَقُضِيَتْ بِأَنَّهُمْ فرقة من بَقِيَّةِ أصحاب السامري، وهم على عبادة عَجَلِهِمْ يعكفون، أو حضرتَ مَجْمَعاً وقد حضره العلماء بعمائمهم الكبار والفراء المثمنة والهيئات المستحسنة، وَقَدَّمُوا قصاب الدخان التي هي لجامات الشيطان، وقد ابتدر ذو نعمة ينشدُ من الأشعار المهيَّجة، فَوَصَفَ الخدود والنهود والقُدود، وقد أرخى القوم رؤوسهم ونكَّسوها، واستمعوا للنغمة واستأنسوها، لَقُلْتُ وَهُمْ لذلك مُطَرِّقون: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون. وكلُّ هذا بالنسبة لطائفة زَعَمَتِ العرفان يَهون، فإنَّهم مع انكبابهم على الشهوات وارتكابهم المعاصي وانتحالهم الشبهات، يزعمون الاتحاد والحلول، ويزعمون أنهم الطائفة الناجية، وأنَّهم هم الأئمة والفحول<sup>(١٥)</sup>.

وقال في موضع آخر: (ولم يَبْقَ من آثار هذا البيان إلا حكايات تتزين بها الطروس، ككان وكان، والعلمُ قد أَفَلَتْ شُموسه، وتقَوَّضت محافله ودروسه، وربعه المأهول أمسى خالياً، وواديه المأنوس أضحى موحشاً داوياً، وَغُصْنُهُ الرطيب غدا ذاوياً، وبرده القشيب صار بالياً، فالعالم الآن قَلَّتْ مضاربه، وضافت مطالبه، وعالت معاطبه، وسددت مذاهبه، فليس له في هذا الزمان ومنذ أزمان إلا الالتجاء إلى عالم السر والإعلان... فلا جَرَمَ ذهبت الراحة والسرور، والبهجة والحبور، مع الرعيل الأول والسَّرب الذي عليه المَعْوَل، ولم يبق لأبناء هذا العصر إلا الشدة والحصر، والندم والتأسف، والتأوّه والتلهّف، والاشتغال بالقليل والقال،

---

(١٥) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» ٣١٤/٢



وإضاعة العمر في اللهو والمحال. وإذا كان الزمان قد فسدت ملوكه، وتهتك صعلوكه، وضلّ عالمه، وجار حاكمه، وبخل مياسيره، وانكمش مشاهيره، ولم يبق من الكرم إلا اسمه، ومن العلم إلا رسمه، ومن العدل إلا ذكره، ومن البذل إلا حكره، ومن المساواة إلا حكاياتها، ومن المؤاخاة إلا نكاتها، وكَلَح في وجوه أهل العلم وعبس، وأعرض عن إنصافهم ونكس، ومال لأهل المال، وذهب مع أهل الذهب والحال، فلا لوم على العالم إن خمدت ناره، وانطمست آثاره، وخفيت شارته، وبردت شرارته، وصار بعد أن كان متبوعاً تابعاً، وصار حِلْس بيته واقعاً، وذوى غصن عزمه بعد أن كان يانعاً، وفلّ فِرند حزمه بعد كونه قاطعاً<sup>(١٦)</sup>.

علي بن محمد بن عبد الله السويدي البغدادي الشافعي (ت: ١٢٣٧هـ)

قال -رحمه الله- في كلام طويل يصف حال زمانه، وما انتشر فيه من الشريكات والبدع: (ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور، فلقد اتَّخذوها في هذا الزمان معابد يعتقدون أنَّ الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت الله... ولقد امتلأت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم -أي: المقبورين-، فتراهم إذا عَصَلت عليهم الأمور أوصى بعضهم بعضاً بقصد أصحاب القبور، وكذلك إذا وقع على أحدٍ يمينٌ بالله حلف من غير أدنى وجلٍ أو حذرٍ، وإذا قيل له: احلف بفلان عند قبره خصوصاً، إذا أمره بالغسل لهذا اليمين، ليكون ذلك من أقوى العبادات، خاف خوفاً يَظهرُ على جميع جوارحه! فلو سلّمنا أنَّه أُدخل في قبره: ارتعدت فرائصه، وانحَلَّت قواه، وربما أنَّ أحدهم لكثرة أوهامه وشدة خوفه تبطل حواسّه، فيزدادون كفرًا...

(١٦) «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» ١/٤-٥

ثم ساق جملة من أفعال القبوريين، ثم قال: فيا لله العجب! ما هذه الخرافات؟! وأين دينُ الله الذي قد مات؟! بال الشيطان في عقولهم، وأضلَّهم عن سبيلهم، ولا ترى أحداً ينهى ويُنكر أمثال ذلك! وأعظم ممَّا هنالك...

ثم قال: ولو بسطتُ الكلام في ذلك ممَّا يستعمله الرجال والنساء، أو يختصُّ بالنساء من أشياء يعلّقنها عليهن، ويبيِّن خواصّها وتأثيراتها في أزواجهنَّ، ويُسمِّيها بأسماء لو رجعتُ الجاهلية الأولى لعجزت عن أقلِّ القليل من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات، لا حتمَل مجلّدات؛ والويلُ كلَّ الويل لمن أنكر ذلك، أو تكلم بأدنى شيء يُنجي من تلکم المهالك...

والحاصل، لو أراد الإنسان أن يفصّل منكرات القبور، وتكيّات المتصوفة، ومنكرات الحيطان والآبار والأحجار والتماثيل، وكذا منكرات المساجد والحمّامات والطرقات والأسواق والبوادي والأمصار، فضلاً عن الدخول في منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء، وما ابتدعوه فيها، وجعلوه كالسنة المأمور بها، لضاق عنه نطاق التحرير، وعجزَ عن ضبطه من تصدّي للتسطير، وعسى الله سبحانه وتعالى أن يرسل في هذه الأمة من يُجدّد لها أمر الدين، ويتّبع سبيل المؤمنين<sup>(١٧)</sup>.

### محمد بن علي الشوكاني اليماني (ت: ١٢٥٠هـ)

قال - رحمه الله -: (وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسد يبكي لها الإسلام: منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنّها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء

(١٧) «العقد الثمين في بيان مسائل الدين» ص ٥١٧-٥٢٢

الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسّحوا بها واستغاثوا. وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً ممّا كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنّا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضبُ لله ويغارُ حمية للدين الحنيف؛ لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشكُّ معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجّهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الوليّ الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنّه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين، أيُّ رزء للإسلام أشدّ من الكفر، وأيُّ بلاء لهذا الدين أضّر من عبادة غير الله؟<sup>(١٨)</sup>.

على أنّ هذه الحالة من الجهالة وذيوع الضلالة وانتشار مظاهر الشرك والعمية لم تكن خاصة بتلك الفترة التي عاش فيها الإمام محمد بن عبد الوهاب، بل سبقت عهده بقرون، وقد كثرت كتابات العلماء في وصف ما عليه كثير من الناس في عامة البلدان؛ حواضرها وبواديها، من البعد عن تعاليم الرسالة المحمدية، والجهل بتوحيد الله في العبادة.

العلامة شهاب الدّين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)

قال - رحمه الله - في تفسيره: (وفي الآية ما يدل على أنّ صنيع أكثر العوام اليوم من الجوّار إلى غيره تعالى ممّن لا يملك لهم بل ولا لنفسه نفعاً ولا ضرّاً عند إصابة الضرّ لهم وإعراضهم عن دعائه تعالى عند ذلك بالكلية سفهٌ عظيم وضلالٌ

(١٨) «نيل الأوطار من أسرار متقى الأخبار» (٧/٤٢٨-٤٢٩)

جديد، لكنّه أشدُّ من الضلال القديم، ومما تقشعُرُ منه الجلود وتُصعّرُ له الحدود؛ الكفرة أصحاب الأُخدود فضلاً عن المؤمنين باليوم الموعود، أنّ بعض المتشيّخين قال لي وأنا صغير: إياك ثم إياك أن تستغيث بالله تعالى إذا خطبُ دهاك، فإنَّ الله تعالى لا يُعجّلُ في إغاثتك، ولا يَهْمُهُ سوء حالتك، وعليك بالاستغاثة بالأولياء السالفين فإنهم يُعجّلون في تفريج كربك، ويَهْمُهُم سوء ما حلَّ بك، فَمَجَّ ذلك سمعي وهَمِّي دمعِي، وسألتُ الله أن يعصمني والمسلمين من أمثال هذا الضلال المبين<sup>(١٩)</sup>.

---

(١٩) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ١٤/١٦١-١٦٢

## الوزير والمؤرخ التركي أحمد جودت باشا (١٢٣٧-١٣١٢هـ)

قال المؤرخ والسياسي التركي أحمد جودت باشا -رحمه الله- عن واقع عربان نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (إنهم يعيشون في ظلمات الجهل والجهالة، ولم يبق من الإسلام عندهم إلا الرسم، ومن الإيمان إلا الاسم)<sup>(٢٠)</sup>.

قلت: وقد أقرّ المؤرخون الأتراك بأنّ تعظيم الأضرحة بالدعاء والتوسل هو الفهم السائد بين المسلمين منذ عصورٍ سبقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فقد قال المؤرخ التركي زكريا قورشون عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (قد أعلن الحرب على ثلاثة أشياء يعيشها المسلمون؛ أولها مسألة التقدير والاحترام الزائدين للأولياء، والتبرك بهم في حياتهم، أو زيارة أضرحتهم بعد مماتهم وطلب الشفاعة منهم. ويزعم أنّ من يتوسل بذلك مشرك، ومن ثمّ فقد أعلن الحرب على هذا الفهم السائد بين المسلمين منذ عصور، وخاصة تحت تأثير المتصوفة)<sup>(٢١)</sup>.

كما أقرّ هذا المؤرخ بأنّ دعوة الشيخ ليست جديدة، فقال واصفاً تلك الدّعوة: (والأصل أنّ ما نادى به محمد بن عبد الوهاب لم يكن جديداً على العالم الإسلامي. وهو بنفسه يُقرّ أنّ أفكاره تستند إلى المذهب الحنبلي؛ مذهب ابن تيمية الذي عاش في نهاية القرن الثالث عشر. فمن الإصاغة إذن أنّ تُوصف هذه الحركة، أو ما تُدعى «السلفية»، على أنها دعوةٌ إلى العودة وإحياء الأصول، وليست مذهباً

---

(٢٠) نقلاً من كتاب «العثمانيون وآل سعود في الأرشييف العثماني» لزكريا قورشون، ص ٣٧

(٢١) «العثمانيون وآل سعود في الأرشييف العثماني» لزكريا قورشون، ص ٤١

أو معتقداً جديداً، إلا أنَّ مثل هذه الأفكار على كثرة ظهورها في العالم الإسلامي لم تنتشر بهذه السهولة، ولم تأخذ طابعاً سياسياً كما أخذته الحركة الوهابية<sup>(٢٢)</sup>.

### ثانياً: مقالات العلماء المتقدمين عن واقع بلاد المسلمين

محدث الشام أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)

قال - رحمه الله -: (وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها. ومن هذا القسم أيضاً: ما قد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرَّج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاله أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهرَ بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمريضهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجرٍ وحائطٍ وحجرٍ. وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى من ذلك - مواضع متعددة: كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليايسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط)<sup>(٢٣)</sup>.

(٢٢) «العثمانيون وآل سعود في الأرشيْف العثماني» لتركيا قورشون، ص ١٠٤

(٢٣) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ص ١٠١

### شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)

قال - رحمه الله -: (فإنَّ بعد معرفة ما جاء به الرسول نَعْلَمُ بالضرورة أنه لم يَشْرَعْ لأُمَّته أَنْ تَدْعُو أَحَدًا من الأموات؛ لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يَشْرَعْ لأُمَّته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نَعْلَمُ أَنَّهُ نَهَى عن كل هذه الأمور، وأنَّ ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله تعالى ورسوله، لكنْ لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يُمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيَّن لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ممَّا يُخالفه) (٢٤).

### شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت: ٧٥١هـ)

قال - رحمه الله -: (وغلَّبَ الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدَّت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (٢٥).

### العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)

قال - رحمه الله - في «شرح درر البحار»: (وأما النذر الذي يَنْذُرُهُ أكثر العوام على ما هو مُشاهد، كأنَّ يكون لإنسانٍ غائبٌ أو مريضٌ أو له حاجة ضرورية، فيأتي بعض الصلحاء، فيجعل سِتْرَهُ على رأسه، فيقول: يا سيدي فلان، إنَّ رُدَّ غائبي أو

(٢٤) «تلخيص الاستغاثة» ٧٣١/٢

(٢٥) «زاد المعاد في هدي خير العباد» ٤٤٣/٣

عُوفي مريضٍ أو قُضيت لي حاجتي، فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا... فهذا النذر باطلٌ بالإجماع لوجوه: أنه نذر مخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق... ومنها: إن ظنَّ أنَّ الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاده ذلك كفر... (٢٦).

وقد نقل العلامة علاء الدين الحصكفي الحنفي - رحمه الله - (١٠٨٨ هـ) هذا النص من كلام ابن قطلوبغا، ثم قال معلقاً: (وقد ابتلي الناس بذلك، لا سيما في هذه الأعصار) (٢٧).

كما نقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أيضاً، ثم قال معلقاً: (فتأمل قول صاحب النهر، مع أنه بمصر، ومقرّ العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام، أتظن أن الزمان صلح بعده؟) (٢٨).

### أبو الحسن علي بن ميمون الغماري الفاسي (ت: ٩١٧ هـ)

فإنَّ أبا الحسن الفاسي - رحمه الله - على الرُّغم من تصوّفه، إلاَّ أنَّه ضاق ذرعاً بأهل مصر والشام وبلاد الأعاجم، لبُعد خاصّتهم فضلاً عن عامّتهم عن التزام الشريعة، والعمل بالسنة، فقال في مقدمة كتابه «بيان غربة الإسلام بواسطة صنفين من المتفكّهة والمتفقّرة من أهل مصر والشام وما يليهما من بلاد الأعجام»: (فلماً رأيتُ ما ارتكبه عامّة أهل القرن العاشر من مخالفات الكتاب والسنة، والتخلّق

(٢٦) «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم ٣٢٠/٢ - ٣٢١

(٢٧) «الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار» ص ١٥١ - ١٥٢

(٢٨) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب»، القسم السادس «الرسائل الشخصية»، ٧٠/٦



بالضلال والبدعة، في الأقوال والأفعال، في العبادات والعادات، بواسطة خاصتهم  
صنفي الفقهاء والفقراء بزعمهم، رأيت فرضاً عليّ التنبيه على ذلك...

إلى أن قال: ووجه تخصيص أهل مصر والشام وبلاد الأعاجم دون سائر  
بلاد الإسلام، وذلك لأنّ البلاد التي رأيتها بالمغرب الأقصى إلى الشام ما رأيتُ من  
أهلها من أهل الفقه والفقير ما علمته من أمور هؤلاء المذكورين هنا من انتهاك حُرْم  
قواعد الإسلام، وإماتة معالم السنّة، ودرس الشريعة المحمدية، والاستسغار  
بالدين الرحماني، وإحياء البدعة المميتة للسنّة، والتعظيم للدين الشيطاني المشاقق  
للدين الرحماني، أقوالاً وأفعالاً وأحوالاً، في العادات والعبادات، وسائر  
الصفات...)(٢٩).

#### منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)

قال - رحمه الله - في «كشف القناع» بعد أن ذَكَرَ أنواعاً من الرّدّة، وسمّى  
بعض فِرَقِ الضلالة: (قد عمّت البلوى بهذه الفِرَق، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل  
التوحيد، نسأل الله العفو والعافية)(٣٠).

---

(٢٩) «بيان غربة الإسلام بواسطة صنفين من المتفكّرة والمتفقّرة من أهل مصر والشام وما يليهما من بلاد الأعجام» ص ٣٨ -

## وصفُ العلماء لحال البادية

أما حال البادية في تلك الأزمان، فأمرٌ يفوق الوصف؛ من البُعدِ عن تعاليم الرسالة، وشيوع الشرك والضلالة، بل وإنكارِ البعث والنشور.

العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت: ٨٥٠هـ)

قال - رحمه الله - في ذِكْرِ ما عليه العوام في عهده: (وبعضُ اعتقاداتهم أجمع العلماء على كفر معتقدها، وبعضُها اختلفوا فيه، وكثيرٌ من أهل البادية يُنكر البعث) (٣١).

محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي الشافعي (ت: ١١٤٧هـ)

جاء في فتاوى الشيخ الخليلي - رحمه الله -: (وسُئِلَ رحمه الله عن عرب السعانة وبني عطية وغيرهم من عرب الشام ومصر والحجاز وغيرهم من عرب البوادي...

ثم ذَكَرَ السائل بعض ضلالتهم، ثم قال: وَيُصَدِّقُونَ ببعثته صلى الله عليه وسلم ولكنهم يُنكرون البعث والنشور، وإذا قيل لهم: إِنَّ رَبَّنَا سبحانه يُحْيِي الخلق بعد موتهم، ويحاسبهم على أعمالهم، فيقولون: لا ندرى ذلك، ولا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة...

ثم قال في الجواب: فأجاب: قد سُئِلَ عن مثل هذه المسألة شيخ مشايخنا الزاهد الورع العالم الشيخ أمين الدين محمد بن عبد العال الحنفي رحمه الله تعالى، (فأجاب) بما حاصله المرقوم في فتواه: من استحلالِ حُكْمِ علم أمره وحُرْمَتِهِ في دين

---

(٣١) «عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى» ص ٣٧

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، وحيث نُهوا ووُعِظوا مرارًا حلَّ قتلهم وقتالهم وأخذ أموالهم، ثم يُنظرُ في حال نسائهم؛ إن كنَّ مؤمناتٍ مكرهاتٍ معهن لا ذنب لهن فيعلمن الأحكام، وإن لم يكن كذلك: حلَّ سيئهن وبيعهن كالحربيات انتهى... هذا حكمهم مع كونهم كفاراً، وبه يعلم حلُّ قتلهم مطلقاً والحالة هذه، ويثاب قاتلهم، وأجرُ المقاتل لهم كأجر المقاتل لأهل الحرب مع خلوص النية؛ لأنه مجاهد في سبيل الله، والله أعلم<sup>(٣٢)</sup>.

برهان الدين إبراهيم بن محمد البيجوري الأزهري (ت: ١٢٧٦هـ)

قال - رحمه الله - بعد ذكر بعض العقائد الفاسدة وهو يتكلم عن بوادي القاهرة: (ومثل ذلك كثير في الناس، فمنهم من يعتقد أنَّ الصحابة أنبياء، وهذا كفرٌ، ومنهم من يُنكر البعث)<sup>(٣٣)</sup>.

وتأمل معي أنَّ البوادي المشار إليها في كلام هؤلاء العلماء هي بوادي حواضر الإسلام؛ كالشام والقاهرة والعراق، فما ظنك ببوادي نجد والإحساء!

---

(٣٢) «فتاوى محمد الخليلي» ٢/ ٢٨٢

(٣٣) «حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد» ص ٧٨

## وصف الرحالة الأوروبيين للحالة الدينية في نجد

ويؤكد سوء الحال الذي كان عليه كثير من المسلمين ما ذكره الرحالة الأوروبيون وغيرهم ممن طافوا كثيراً من بلاد المسلمين: الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية، من مشاهداتٍ لواقع المسلمين، وما كان عليه أكثر الناس في عامة بلاد الإسلام من البعد عن تعاليم الدين الذي ينتمون إليه.

### الرحالة والكاتب الفرنسي لويس دو كورانسيه (ت: ١٢٤٨هـ)

قال: (والدين الذي دعا إليه النبي محمدٌ البسيط في نشأته، تعرّض في الماضي وما زال يتعرّض لهذا التعديل. فقد شوّه عددٌ كبيرٌ من المفسرين معاني القرآن بتفسيرات غريبة، وقامت في أماكن عديدة مزارات اشتهرت بأعاجيب مضحكة غريبة. وجعلت الخرافات من أصحابها وسطاء بين الله الأحد الذي بشر به محمد وبين الإنسان. وزاد عدد هؤلاء لدرجة أخفت وجه الله الحقيقي عن عيون عباده.

لقد احتفظوا حقاً بالوضوء وأوقات الصلوات الخمس وغيرها من الطقوس الدينية، ولكنهم أدخلوا عليها زيادات شوهتها. فالصلاة التي ينال صاحبها أكبر الثواب، تركز مثلاً على ترديد اسم الله جهرًا طوال ساعات، والأنقى هو من يُردّد هذا الاسم أكثر وأسرع من غيره. وليس أغرب من منظر المشايخ الذين يقومون في الأعياد بالتباري بالصراخ باسم الله بشكل مخيف. وقد تُبجّ أصوات الكثيرين منهم فيُضطّرون إلى السكوت، ويتركون قصب السباق إلى القدّيس ذي الرئتين القويتين الذي يحاول مواصلة الصراخ لبعض الوقت بعد سكوت جميع منافسيه. وأخيراً يأخذه التعب، فيقع في وسط الجماعة المتديّنين، والعرق يتصبّب منه، فيرفعه هؤلاء، ويجعلونه منتصباً. وتضجّ أهمّ المساجد كل يوم جمعة بالصراخ الذي يستدعيه هذا السباق الغريب، ويحتفظ الشيخ الذي قدّسته

رثائه بقداسته، بواسطة غيبوبات كثيراً ما تسبب العجب، بل الرعب لمن يشاهدها من المسيحيين.

وليس هذا السبيل الوحيد للظهور، بل لعلّ الجنون كان السبيل الأفضل، إذ لم يَفُتْ أيّ أجنبي ملاحظة الأعمال الغريبة التي يقوم بها يومياً بعض المجانين المعروفين والحائزين على احترام الناس. ولا يجرؤ أيّ امرئ اعتراض نزواتهم التي تعتبر إلهاماً سماوياً. فهم يدخلون عراة في كثير من الأحيان، حيثما شاءوا دون اعتراض، ويجلسون على مقعد الباشا نفسه، يكيلون له الشتائم، دون أن يجرؤ على إظهار اعتراضه. وهكذا فإن أقبح العادات، وأشدّ التطرفات، قد حلّت لدى المسلمين مكان التقوى الحقيقية، في بساطتها وحكمتها. وإن وُجد من يستهجن هذا الوضع بينه وبين نفسه، يمشي بالعلن مع الأكثرية، ويبدو وكأنه ينساق مع الرأي العام.

وقد طرأت بدع أخرى زيادة على هذه التصرفات السخيفة في البلاد الشرقية من ديار الوهابيين. والحكم العثماني المستبد في البلاد، يقبل هذه السخافات ويشجّعها، وإن كانت تُسيء إلى الكثيرين، وينسبها إلى الدين، لأنّ الدين الكابح الوحيد في يد الدولة المستبدة<sup>(٣٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: (فعموم المسلمين مثلاً، يحترمون الأموات احتراماً فائقاً، فيقيمون المساجد الجميلة والقباب الفنية فوق قبور الباشوات والأولياء والأنبياء. وهذه الأضرحة عديدة في البلاد العثمانية لدرجة أنها تُشاهد بعيداً عن

---

(٣٤) «الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ» ص ٥٥-٦٥، ويمكن قراءة هذه الترجمة بعبارة مغايرة في كتاب «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م»، وقد اخترت الترجمة المثبتة عن قصد لكونها من منشورات «المكتبة التخصصية للردّ على الوهابية»

الأماكن المأهولة، وغالباً ما يلوح في الأماكن المقفرة، وحتى أواسط الصحراء بعض القباب، فتلفت نظر المسافر)<sup>(٣٥)</sup>.

قلت: هو يخبر عن مشاهدة ومعاينة، ثم أشار إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقال:

(كان الشيخ محمد مصلحاً لدين محمد، وليس مؤسساً لديانة جديدة. فالوهابية مصدرها الأساسي هو القرآن في صفائه الأول. وأول تعاليم القرآن هي الإيمان بالله الواحد الأزل العليم القدير. وهذا ما علّمه الشيخ محمد. وكان غيوراً على وحدانية الله لدرجة جعلته يرفض كل شفاعاة بين الله وبين الناس، لأيّ كائن له امتياز على الناس، أو لأيّ إنسان يتّصف بما يشبه الألوهية. وهكذا حرّم تكريم الأولياء والأنبياء<sup>(٣٦)</sup>. كما حرّم التبريك لأيّ من الناس الذين أعطتهم الخرافات إحدى هاتين الصفتين... وقد أعلن استياء الله من الأتراك<sup>(٣٧)</sup> لما يُبدون نحو محمد، ويبيّن أنّ هدفه هو محو هذه الوثنية والعودة بالناس إلى عبادة الله وحده)<sup>(٣٨)</sup>.

وقال في موضع آخر: (وبصورة عامة فإنّ مذهب الوهابيين هو الإسلام بعد أن أزيلت عنه جميع الخرافات التي ألصقت به بين المسلمين. وهو ليس ديناً جديداً

---

(٣٥) «الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ» ص ٦٨

(٣٦) قلت: مراده بالتكريم: التعظيم المؤدي إلى صرف بعض أنواع العبادة للنبي أو الولي.

(٣٧) قلت: لم يتعرّض الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأتراك في رسائله، مع أنّه رحّل إلى بعض ولاياتهم، كالعراق، وإنّما كان همّه وجهده موجّهاً إلى من يليه من القرى والبوادي.

(٣٨) «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم» ٥٨

بل دين محمد نفسه في بساطته الأولى). ثم ذكر ما أحدثه المسلمون في القبور والأضرحة وما انتشر في المسلمين<sup>(٣٩)</sup>.

### الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت (ت: ١٢٣٢هـ)

قال: (لم تكن مبادئ ابن عبد الوهاب مبادئ دين جديد، بل كانت جهود الرجل مُوجَّهة - فقط - لإصلاح المفاصد التي سادت بين أتباع الإسلام، والعمل على نشر صحيح الدين بين البدو؛ الذين كانوا جاهلين بالدين على الرغم من كونهم مسلمين، لكن اسماً فقط، هؤلاء البدو كانوا غير مباينين بأحكام الدين كلها)<sup>(٤٠)</sup>.

### الرحالة الفنلندي فالين (ت: ١٢٦٨هـ)

وهذا الرحالة قد طاف الجزيرة العربية منتصف القرن التاسع عشر، فقال عن مشاهداته: (إنَّ قبيلة ... شأن أغلبية القبائل لم تُرغم على تبني تعاليم الطائفة الوهابية الإصلاحية في فترة تصاعد سلطتها في الجزيرة، لا تُعرف إطلاقاً الدين الذي تعتنقه. وبالكاد أتذكر أنني صادفت أحداً من أفراد القبيلة الذين كانوا يؤدون الفرائض الإسلامية، أو لديهم أبسط فكرة عن أصول الإسلام وأركانه الأساسية، ويمكن في الوقت نفسه قول العكس بدرجة معينة عن البدو الذين صاروا مع الوهابيين، أو كانوا منهم في السابق)<sup>(٤١)</sup>.

### الرحالة البريطاني وليام جيفور بالجريف (ت: ١٣٠٥هـ)

---

(٣٩) «الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ» ص ٦٨

(٤٠) «ملاحظات حول البدو والوهابيين» ٦٣/٢

(٤١) نقلاً من «تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين»، أليكسي فاسيلييف ص ٩٩

قال في حديثه عن حال البادية قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (والواقع أنَّ كلَّ أثرٍ للإسلام قد انمَحى تقريباً في تلك الفترة من نجد التي كانت تجري فيها عبادة الجانِّ تحت ظلال أوراق الشجر الكبيرة، أو في الفجوات التي تشبه الكهوف في جبل طويق، علاوة على استرحام الموتى، وتقديم الأضاحي عند قبورهم، وجرى خَلطُ كل ذلك ببقايا الخرافات السبئية، بل إنَّ ذلك لم يَحُلْ أيضاً من بعض آثار معتقدات مسيلمة، ومعتقدات القرامطة. كان الناس قد توقفوا عن قراءة القرآن، ونسوا الصلوات الخمس، لم يكن أحدٌ يهتم بمكة، أو يعرف مكانها، إنَّ كانت شرقاً، أو غرباً، أو شمالاً، أو جنوباً، وأصبحت العشور، والوضوء، والحج، أشياء لا يَسمعُ الناس عنها شيئاً. كان هذا هو حال الدِّين والسياسة في نجد عندما وصل إليها محمد بن عبد الوهاب) (٤٢).

### الكولنيل لويس بيلي البريطاني (ت: ١٣٠٩هـ)

وهذا الكولنيل قد زار الإمام فيصل بن تركي في آخر عهده سنة ١٢٨١هـ، وتكلم عن الحالة الدِّينية للقبائل والنواحي النجدية قبل ظهور الوهابية، فقال: (وإنَّ تحوُّل هذه القبائل للإسلام لم يَتِمَّ إلا خلال القرن الأخير...). ثم ذكر بعض المواضع الشريكة في الحوطة، وفي جبل طويق، وفي جلاجل، من قرى نجد (٤٣).

### دافليشن أحد ضباط الأركان العامة في جيش روسيا القيصرية

---

(٤٢) «وسط الجزيرة العربية وشرقها» وليم بالجريف ٤٢٩/١

(٤٣) «رحلة إلى الرياض» ص ٤٦



قال في وصف بادية نجد: (إنَّ أعراب البادية لا يتميزون بالتدين إطلاقاً)<sup>(٤٤)</sup>.

---

(٤٤) نقلاً من «تاريخ العربية السعودية» أليكسي فاسيلييف ص ١٠٠

### الرحالة الألماني أوبنهايم (ت: ١٣٦٥هـ)

عاش هذا المستكشف والرحالة أربعين عاماً في العراق والشام وشمال نجد، وقال عن كتابه «البدو»: (هو حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قُمتُ بها في عين المكان)<sup>(٤٥)</sup>.

جاء فيه: (البدو مسلمون... لكن بالكاد تجد بين بضعة آلاف منهم واحداً يَعْرِفُ شعائر الصلاة التي أقرها الإسلام، ينطبق هذا بصورة خاصة على المناطق التي لم تنتشر فيها الوهابية، كما لا تزال توجد ذكريات وثنية في أساطيرهم)<sup>(٤٦)</sup>.

### الرحالة البريطاني برترام توماس (ت: ١٣٧٠هـ)

وقد طاف هذا الرحالة بلاد عمان، وصحراء الربع الخالي، وخبر حال قبائل تلك النواحي، فقال: (إنّ العديد من العقائد الوثنية، والعقائد الأخرى المؤمنة بوجود الأرواح، لا تزال موجودة وتُمارَسُ عبْرَ هذه الجبال، وجميع السكان المحليين يؤمنون إيماناً راسخاً بهذه الأساطير، بينما في مناطق أخرى من جزيرة العرب المسلمة يجري استنساخها دون إضفاء صفة إلهية عليها على الأقل)<sup>(٤٧)</sup>.

الوكيل السياسي البريطاني في العراق والبحرين والكويت هارولد ديكسون (ت: ١٣٧٨هـ)

قال: (في حوالي نهاية القرن السابع عشر انقسمت نجد والجزيرة العربية عموماً باستثناء عمان واليمن والحجاز إلى مقاطعات ومدن مستقلة، يحكم كل

(٤٥) «البدو» ٥١/١

(٤٦) «البدو» ٨٦/١

(٤٧) «رحلات ومغامرات عبر صحراء الربع الخالي» ص ٩٣

واحدة منها أحد زعماء القبائل بحماية البدو، أما الذين فقد نُسبهم إلا بأشكاله البدائية بين أهل المدن، وانتهى من الوجود عملياً بين رجال القبائل<sup>(٤٨)</sup>.

---

(٤٨) «الكويت وجاراتها» ١٠١/١

اعتراض الدكتور عبد الله العثيمين والدكتور أحمد البسام لوصف ابن غنّام

على أنّ هذا الاتفاق الذي اجتمع عليه: علماء المسلمين، المتقدّمون منهم والمتأخرون، والمؤرخون والرحالة الأوروبيون، الدالّ على سوء الأحوال الدّينية والعلمية في عامة بلاد المسلمين، وفي نجد بالخصوص، قد عارضه بعض المعاصرين من المعتنّين بتاريخ نجد بالخصوص، من أشهرهم: الدكتور عبد الله العثيمين - رحمه الله - في كتابه: «نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»<sup>(٤٩)</sup>، و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره»<sup>(٥٠)</sup>، وكذلك الدكتور أحمد البسام - وفقه الله - في كتابه: «الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها»، وفي بعض مجالسه المنشورة في اليوتيوب<sup>(٥١)</sup>.

حيث ذكرنا أنّ الحالة العلمية في نجد لم تكن بالصورة القائمة التي صوّرها ابن غنّام وابن بشر في تاريخيهما، وعزّيا سبب مبالغة ابن غنّام وابن بشر في تصوير الواقع العلمي في نجد إلى الرغبة في تحسين صورة الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والثناء عليها، وبيان عِظَم أثرها على الواقع.

قال العثيمين - رحمه الله -: (كان تحمّس ابن غنّام لهذه الدعوة المباركة من الأمور التي دفعته إلى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليُوضّح مقدار فضلها... وابن بشر - كما هو واضح لمن تأمل تاريخه - كان أيضًا من المتحمسين

---

(٤٩) «نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٨٩-٩٧

(٥٠) «محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره» ص ١٩-٣٢١

(٥١) انظر لقاء بعنوان «نجد ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى» في موقع اليوتيوب.

لدعوة الشيخ محمد وأنصارها. وموقفٌ كهذا قد يؤدي إلى إصدار أحكام تنقصها الدقة<sup>(٥٢)</sup>.

ومما استندا إليه في هذه المعارضة: وجود بعض من وُصفوا بالعلم في نجد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومثّل الدكتور العثيمين بجدّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الشيخ سليمان بن علي الوهبي في العينة (١٠٧٩هـ)، والشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل في أشيقر (١٠٥٩هـ)، والشيخ عبد الله بن ذهلان في الرياض (١٠٩٩هـ). كما مثّل الدكتور أحمد البسام بأحمد بن شبانة (توفي في حدود ١١٢٧هـ)، وأحمد بن يحيى بن عطوة (٩٤٨هـ).

وجميع هؤلاء المذكورون كانت وفاتهم قبل قيام الدعوة الإصلاحية.

كما استندا إلى كثرة من أورد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ذكرهم من العلماء في نجد من مستهل القرن العاشر إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»

كما أشارا أيضًا إلى بعض الرسائل التي ألفها علماء نجديون قبيل الدعوة مستدلّين بها على أنّ الحالة العلمية في نجد لم تكن بذلك السوء الموصوف في كلام ابن غنّام وابن بشر، مع التنبيه على أنّ الرسائل المشار إليها كانت رسائل فقهية، من أشهرها: «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» للشيخ أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي (١١٢٥هـ)، وقد أكثر النّقل في كتابه عن شيخه عبد الله بن محمد بن ذهلان، وعن غيره من علماء نجد.

---

(٥٢) «نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٩٢-٩٣



## أوجه الردّ على اعتراضات المنتقدين لوصف ابن غنّام وابن بشر

والتأمّل فيما ذكره العثيمين والبسام ومن وافقهما في الاعتراض على وصف ابن غنّام وابن بشر للحالة العلمية والدينية في نجد، يجد أنّ هذه المعارضة لا تستند إلى دليلٍ علميٍّ ملموس، وإنّما هي تحرّصاتٌ وظنونٌ وأمانيّ، ولا يجد معهم ما يُمكن اعتباره دليلاً سوى الاستبعاد الذهني المجرّد.

توضيح ذلك من وجوه:

### الوجه الأول: وصفُ الأشخاص بالعلم لا يستلزم وصفهم بصحة العقيدة

إنَّ وَصْفَ بعض الأشخاص في نجد بالعلم لا يستلزم وصفهم بصحة العقيدة، وكلُّ من نُسبوا إلى العلم قبل وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كانت جهودهم في الفقه والقضاء خاصة، ولم تُعدّ المؤلفات والرسائل المنسوبة إليهم عن أن تكون رسائل فقهية، وفي المذهب الحنبلي بالخصوص، ومعلومٌ أنّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن غنّام وابن بشر ومن وافقهم من العلماء والمؤرخين لتلك الفترة لم يَنفُوا العلمَ عن علماء نجد في وقت الدعوة، ولا قبلها، وإنّما نَفَوْا معرفتهم بالتوحيد الخالص، وعلى هذا فلا يُورَد عليهم وجود فقهاء في نجد، حتى يثبت عن هؤلاء الفقهاء صحة العقيدة وسلامة التوحيد، فإذا لم يثبت ذلك بدليلٍ علميٍّ، لم يكن لنا ردُّ ما ذكره العلماء والمؤرخون الموثقون عن حال فقهاء ذلك الزمان بمجرد الاستبعاد. ومن نظرَ إلى خصومة من عاصر منهم الشيخ في وقته، يجد أنّها لم تكن حول مسائل فقهية، وإن ذكر بعضها تبعاً، وإنّما كانت حول ما دعا إليه من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والنهي عن الشرك في الألوهية.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام - رحمه الله -: (يوجد في بلدان نجد فقهاء وعلماء في ذلك الزمن، وقبل بقرون متطاولة، إلا أنَّ جُلَّ اهتمامهم بالفقه والمسائل الفرعية، فهم مقتصرون على بحث مسائل الفقه وتحريرها وتحقيقها وحفظ متونها واستيعاب شروحها وحواشيها، أما العلوم الشرعية الأخرى فنصيبهم فيها قليل، فليس هناك عناية بالتوحيد وتحقيقه، ولا بالتفسير وبالحديث وشروحه، بل حتى العلوم العربية لا يهتمون بها إلا بما يُقَوِّمُ اللسان، وهم لذلك لا يُنكرون على العامة ما هم واقعون فيه من تعظيم القبور والغلو في الصالحين، والنذر لغير الله، والحلف بغير الله، والاعتقاد في بعض المسميات، ويرى هؤلاء العلماء جواز التوسل بذوات الصالحين، كما يُجيزون شدَّ الرِّحال إلى القبور، فعند علماء نجد وعند عامتهم ما عند علماء الأمصار، وما عند عامتهم، من هذه الأمور البدعية الشريكة) (٥٣).

وقال في موضع آخر: (وأهل العلم في ذلك الزمن لا يُحقِّقون إلا علم الفقه، أمَّا العلوم الأخرى، فيعتبرون الاشتغال بها مضيعة للوقت) (٥٤).

بل إنَّ الدكتور عبد الله العثيمين قد اعترف بهذه الحقيقة فقال: (ومن الواضح أنَّ دراسة علماء نجد في تلك الفترة تركّزت على الفقه، أما العلوم الدّينية الأخرى فكان حظُّها من العناية أقل من هذه المادة. وربما كان لك منسجماً مع الهدف الرئيسي من التعلّم آنذاك، وهو أن يصبح المرء مؤهلاً لتولّي القضاء) (٥٥).

---

(٥٣) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ٣٠/١

(٥٤) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ٥٠٩/٣

(٥٥) «محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره» ص ١٨



ويؤكد أنه المعارضين لم يذكروا دليلاً يدل على صحة عقيدة من نسبوا إلى العلم آنذاك، أو سلامة توحيدهم، الذي هو محل النزاع والصراع، بل عجزوا أن ينقلوا عن عالم من علماء ذلك الوقت في تقرير التوحيد والتحذير من الشرك بمثل ما جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فلم يثبت عن أحد منهم النهي عن عبادة الأضرحة والمقامات، ولا التحذير من الطواغيت المعبودة آنذاك.

وعليه، فلا يمكن قبول دعوى استبعاد عدم وجود علماء عارفين بحقيقة التوحيد آنذاك بمجرد أنها، ما لم تستند إلى دليل علمي صحيح يمكن أن يعارض به خبر من عاش وعاین الأحوال كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن غنّام وغيرهما.

بل في كتاب «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» لابن منقور (١١٢٥هـ)، ما يؤكد وجود الخلل في توحيد العبادة، والكتاب يُعتبر من أكبر مؤلفات النجديين في تلك الفترة، وهو من جملة ما استدل به المعارضون على وجود العلم وانتشاره في نجد، وتأکید صحة عقيدة النجديين.

قال ابن منقور - رحمه الله - في كتاب الصيد: (الذبح لِذِفْعِ أذى الجنِّ، وَسَمَى، أبيحت، وَإِنْ قَصَدَهُمْ بِدَمِهَا حَرُمَ الفعل) (٥٦).

قال الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - (١٣٨٥هـ) معلقاً على كلام ابن منقور: (لا يخفى ما في ضمن هذا الكلام من المضادة لقوله تعالى: {وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً}، لأن هذا استعاذة بالجن، والاستعاذة عبادة، فمن استعاذ بغير الله فقد عبده مع الله، وتفريقه بين الذبح للجن لأجل الاستعانة بهم، وبين الذبح لهم لدفع شرهم، تفریق من غير فارق، فكما أن

---

(٥٦) «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» ٨٧/٢

الاستعانة نوعٌ من العبادة، فكَذلك الاستعاذة مثلها سواء، ولأنَّ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فعلى هذا تكون الذبيحة حراماً؛ لأنها ذبيحة مشرك، والتسمية عبادة، وهي في هذا الموضع لا تُؤثِّر؛ لأنها من مشرك، وعبادات المشرك حابطة والعياذ بالله، والله أعلم<sup>(٥٧)</sup>.

وقد قال ابن بشر - رحمه الله - في تعليل انتشار مظاهر الشرك في نجد، خصوصاً ما يتعلّق بالذبح للجنّ: (والسبب الذي أحدث ذلك في نجدٍ والله أعلم، أنَّ الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار صار معهم رجال ونساء يتطبّبون ويداوون، فإذا كان في أحدٍ من أهل البلد مرضٌ أو في بعض أعضائه جاء أهله إلى متطبّبة ذلك القطين من البادية، فيسألونهم عن دواء علته، فيقولون لهم: اذبحوا في الموضع الفلاني كذا وكذا، إما تيساً أصمّع أو خروفاً أسود، وذلك ليُحقّقوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة، ثم يقولون لهم: لا تُسمّوا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا كذا وكذا واتركوا كذا وكذا. فربما يُشفى الله مريضهم فتنة لهم واستدراجاً، وربما يوافق وقت الشفا، حتى كثر ذلك في الناس وطال عليهم الأمد فوقعوا في عظام هذا السبب. وليس للناس من ينهاهم عن ذلك، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.)<sup>(٥٨)</sup>

ومما يؤكد هذا أنّه لا يُعرف لعالمٍ من علماء نجد قبل وقت الشيخ وفي وقته مؤلفٌ في التوحيد والعقيدة الصحيحة، إلا ما كان من الشيخ عثمان بن قايد المولود في العيينة، والمتوفّى سنة ١٠٩٧هـ، في كتابه «نجاة الخلف في اعتقاد السلف»، والشيخ عثمان وإن كان قد نشأ في نجدٍ وأخذ عن علمائها إلا أنّه رَحَلَ إلى الشام

(٥٧) «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» ٨٧/٢ حاشية

(٥٨) «عنوان المجد في تاريخ نجد» ٣٤/١

وتلقَّى فيها العلم، ثم رحل إلى مصر وتُوفِّي فيها، ولذا لا يمكن اعتباره من علماء نجدٍ إلا من جهة النشأة، والدكتور عبد الله العثيمين نفسه أقرَّ أنَّ تأليف عثمان بن قايذ في العقيدة بالخصوص أمرٌ غير معهودٍ من النجديين، ولذلك عزی سبب ذلك بقوله: (وربما كان اهتمامه بالعقيدة نتيجةً لمناقشاته مع العلماء خارج المنطقة)<sup>(٥٩)</sup>.

والدكتور أحمد البسام مع مشاركته للعثيمين في نقد ابن غنَّام في وصف الحالة العلمية لنجد قبل وقت الدعوة، إلَّا إنَّه عجز في كتابه: «الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها» عن العثور على مؤلفٍ لعالمٍ من علماء نجد قبل الدعوة في المعتقد الصحيح، لا سيما في مسائل توحيد الألوهية، سوى كتاب عثمان بن قايذ، ومؤلفٍ آخر في للشيخ منيع بن محمد العوسجي في القضاء والقدر بعنوان «النقل المختار من كلام الأخيار»<sup>(٦٠)</sup>.

ومَّا يزيد هذا الأمر تأكيداً: أنَّ الإحساء التي كانت أقرب الحواضر إلى نجد، وأعظم اهتماماً بالعلم والتعليم من نجد، وقد انتشرت فيها المدارس، وكثر فيها المتعلِّمون، وبرَزَ فيها عددٌ كبير من العلماء من مختلف المذاهب الفقهية، والمدارس العلمية، ومع ذلك لم يُعرف لأحدٍ من علمائها آنذاك دعوةٌ إلى المعتقد الصحيح، ولا تأليفٌ في توحيد العبادة.

قال الباحث علي بن سالم الصيخان -وفقه الله-: (كانت معظم مؤلَّفات علماء الإحساء في العقيدة في مدة الدراسة، تتَّجه في مسار واحد، وهي العقيدة

---

(٥٩) «نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٨٠

(٦٠) «الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد

الوهاب فيها» ص ١٩٧

الأشعرية التي كانت هي العقيدة السائدة في الإحساء لدى علماء وطلاب المذاهب الفقهية؛ الحنفية، والمالكية، والشافعية فقط؛ حيث كانت تُدرّس للطلاب في مدارسهم؛ فاهتمّ بها علماءؤهم شرحاً وتلخيصاً ونسخاً، وكانوا ينتسبون إلى العقيدة الأشعرية عند كتابة أسمائهم في نهاية نسخ المخطوطات، أما حنابلة الإحساء فلم يقف الباحث على أي دليل يُثبت أنّ لهم عناية أو تعلقاً بالعقيدة الأشعرية<sup>(٦١)</sup>.

ولمّا عرّج الباحث نفسه على جهود علماء الإحساء في الردود العلمية، قال: (تكاد تنحصر الردود العلمية لعلماء الإحساء - في مدّة الدراسة - باتجاه واحد فقط؛ وهو الرّدُّ على الدعوة السلفية في نجد، وعلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعلى مناصريه من حكام بلدة الدرعية من آل سعود... وقد كانت تلك الردود التي اطلع عليها الباحث وقرأها؛ تتسم في الغالب بالشدّة والقسوة؛ حيث كانت تتدرّج من التبديع والتفسيق إلى التكفير والإخراج من الملة، وكان علماء الإحساء هم من بدؤوا بها... - ثم أخذ الباحث يسرد أسماء تلك الردود ومؤلفيها-) <sup>(٦٢)</sup>.

وجميعٌ من عُرِف عنهم صحة العقيدة، والعلم بحقيقة التوحيد، ومعرفة ما يضافه، في وقت الشيخ وقبيل وقته، لم يكونوا في نجد، ولا فيما جاورها من الأقاليم، بل كانوا في أقاليم بعيدة عن نجد، كالمدينة النبوية، واليمن، والشام، ونحوها. من أمثال هؤلاء: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، فإنّه وإن كان أصله من نجد، ومن المجوعة بالخصوص، إلا إنّهُ وُلِدَ في المدينة النبوية، وتُوفِّيَ فيها سنة ١١٤٠ هـ قبل أن يجهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى التوحيد، وعلى هذا، فلا يصح الاستشهاد به على خلاف ما ذكره ابن غنّام عن الحالة العلمية

(٦١) «الحياة العلمية في الإحساء في عهد إمارة بني خالد» ص ١٩٧

(٦٢) «الحياة العلمية في الإحساء في عهد إمارة بني خالد» ص ٢١٦

والدينية في نجد قبل الدعوة، كما فعله الدكتور أحمد البسام. ومن أمثال هؤلاء أيضاً: الشيخان: محمد حياة السندي وعلي أفندي الداغستاني -رحمهما الله-، فإنَّهما من علماء المدينة النبوية، ولم يكونا نجديين. ومن أمثالهم أيضاً: محمد بن إسماعيل الصنعاني وحسين النُّعْمي -رحمهما الله-، وهما من علماء اليمن. ومن أمثالهم: الشيخان: محمد السفاريني ومحمد البرهاني -رحمهما الله- وهما من علماء الشام، ومعلوم أنَّ دعوى جَهْلِ أهل العلم بحقيقة التوحيد قبيل ظهور دعوة الشيخ إنما عُنيَ به أهل نجد خاصة، لا عموم بلدان الجزيرة، فضلاً عن بلدان العالم الإسلامي وحواضره، كما يأتي تقريره مفصلاً من كلام الشيخ نفسه.

قلت: ومما يُبطل دعوى الدكتور أحمد البسام بوجود علماء في نجد وقت ظهور دعوة الشيخ، أنَّه اضْطُرَّ إلى التمثيل بخصوم الشيخ في دعوته إلى التوحيد، كعبد الله بن عيسى المويس (٦٣)، وعبد الله بن سحيم (٦٤)، حيث عَجَزَ عن ذِكرِ

---

(٦٣) عبد الله بن عيسى المشهور بالمويس أو المويسي -تصغير موسى- الوهبي التميمي. وُلِدَ في بلدة حَرَمَة في مقاطعة سدير، ونشأ فيها وقرأ على مشايخ نجد، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، وأخذ عن العلامة محمد السفاريني وغيره من علماء الشام، ثم رجع إلى نجد، فوافق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فناصبه العداء، وصار من أشدَّ خصوم الدعوة وأعدائها. وقد حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب التلطف معه، وعامله بالرفق طمعاً في تأليف قلبه، وقبوله للحق، إلا أن المويس أصرَّ على ضلاله، واستمر في خصومة الدعوة والعي في الصدَّ عنها بكل ما يستطيع. وكان يرحل إلى البلدان يُشهر بالشيخ، ويفتري عليه، ويطوف على عباد الأضرحة والقبور يحذِّرهم من دعوة الشيخ. واستمرَّ على هذه الحال حتى هلك سنة ١١٧٥ هـ في الوباء الذي حلَّ في نجد وأهلك كثيراً من أهلها، المعروف بـ «أبي دمغة».

(٦٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم. وُلِدَ في بلدة المجمعَة عاصمة في مقاطعة سدير، ونشأ فيها وقرأ على علمائها حتى صار عمدة لإقليم سدير في الإفتاء والتدريس وكتابة الوثائق. وقد دعاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى دعوته، وتلطف معه في الخطاب محاولاً كسبه وإقناعه، وللشيخ عدة رسائل موجهة إليه. والذي يظهر أنَّه وافق الشيخ في دعوته أوَّل الأمر، ثم تغيَّر موقفه بسبب عبد الله بن عيسى المويس، فقد قال الشيخ في رسالة له: (واعتبر لنفسك حيث قلت لي فيما مضى: إنَّ هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكنَّ لا تُقدِّر على تغييره، وتكلَّمت بكلام حسن، فلمَّا غربلك الله بولد المويس ولبس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة). تُوفِّي في وباء أبي دمغة الشهير سنة ١١٧٥ هـ. انظر: «الرسائل

غيرهم، وموقف هذين من توحيد الإلهية معلومٌ غير خافٍ، كما سيأتي تقريره مفصلاً.

## الوجه الثاني: موقف المنسويين للعلم من دعوة الشيخ في وقته يؤكد صحة الوصف

إِنَّ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ غَنَّامٍ وَابْنُ بَشْرٍ فِي وَصْفِ الْحَالَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ لِنَجْدٍ وَمَا جَاوَرَهَا: مَوْقِفُ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى الْعِلْمِ فِي نَجْدٍ مِنْ دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي وَقْتِهِ، إِذْ لَمْ يُعْرِفْ عَنْ عَالَمٍ مُشْتَهَرٍ بِالْعِلْمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَافَقَ الشَّيْخَ عَلَى أَصُولِ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ، حَاشَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَاضِي الدَّرْعِيَّةِ<sup>(٦٥)</sup>، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ عُلَمَاءِ نَجْدٍ، وَقَدْ كَتَبَ رِسَالَةً مَذِيلَةً بِبَعْضِ رِسَائِلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ إِلَى بُلْدَانِ نَجْدٍ يُقَرُّ فِيهَا بِجَهْلِهِ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ قَبْلَ مَجِيءِ دَعْوَةِ الشَّيْخِ، عَلَى أَنَّهُ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ بِسَبَبِ ابْنِهِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، لَكِنَّهُ رَجَعَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ حَتَّى قُتِلَ عَلَى يَدِ خُصُومِ الدَّعْوَةِ.

قال الشيخ محمد بن بعد الوهاب - رحمه الله - واصفاً الشيخ عبد الله بن عيسى: (وشاهدُ هذا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَيْسَى مَا نَعْرِفُ فِي عُلَمَاءِ نَجْدٍ، وَلَا عُلَمَاءِ الْعَارِضِ، وَلَا غَيْرِهِ، أَجَلٌّ مِنْهُ، وَهَذَا كَلَامُهُ وَاصِلٌ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)<sup>(٦٦)</sup>.

---

(٦٥) عبد الله بن عيسى، كان قاضياً في الدرعية قبل انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إليها، ويعود نسبه إلى بني حنيفة، ولا علاقة بين أسرته وأسرة المؤرخ الشهير إبراهيم بن صالح بن عيسى، فالمؤرخ من بني زيد، وقاضي الدرعية من بني حنيفة. انتقل ابن عيسى إلى ضرما قبل انتقال الشيخ إلى الدرعية. وكانت له مكانة علمية عظيمة بين علماء نجد، حتى قال الشيخ عنه بأنه أجل علمائها. ولما أظهر الشيخ الدعوة وافقه ابن عيسى، وكتب إلى البلدان مؤيداً دعوة الشيخ ومناصراً لها، وقد استمر على مناصرة الدعوة حتى قُتل على أيدي خصوم الدعوة سنة ١١٦٤ هـ حسب ما ذكره ابن غنّام. [مقال «هذه معلوماتي لعل فيها ما يفيد الباحثين»، إبراهيم بن عيسى بن عبد الله العيسى]

(٦٦) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب»، القسم السادس «الرسائل الشخصية»، ص ١٨٧

قال الشيخ عبد الله بن عيسى - رحمه الله - في رسالة موجهة إلى عموم المسلمين في نجد: (فالله الله عباد الله، لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطّخ بالشرك وهو لا يشعر؛ فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم، فله الحمد على ما علّمنا من دينه، ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب، فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ»، واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}، ولولا ضيق هذه الكرّاسة، وأنّ الشيخ محمداً أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها، لأطلنا الكلام) (٦٧).

وكل من تأمّل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى العلماء والأمرأ والوجهاء والعامّة في نجد، وخبر تاريخ الدعوة وما جرى من الخصومة وقتها، علم يقيناً عدم صحة هذه المعارضة، وتبيّن له صدق وحقيقة ما ذكره ابن غنّام وابن بشر عن سوء الحالة العلمية والدينية في نجد، فإنّه على الرغم من طول مدة دعوة الشيخ في نجد، التي بدأت من تاريخ التحاق الشيخ بوالده في حريملاء في حدود سنة ١١٤٣هـ، على اعتبار أنّ إظهار الدعوة في نجد بدأ فيها، إلى سقوط الرياض والسيطرة على عامّة وسط نجد سنة ١١٨٧هـ، أو إلى ضمّ الخرج والدلم سنة ١٢٠٠هـ، وعلى الرغم أيضاً من كثرة رسائل الشيخ ومباحثاته مع علماء نجد في وقته: فإنّه لم يُعرف عن أحدٍ معروفٍ بالعلم في نجد في تلك الفترة وافق الشيخ في تقرير التوحيد العبادة وبيان حقيقة الشرك وثبّت على هذه الموافقة، إلا عبد الله

---

(٦٧) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب»، القسم السادس «الرسائل الشخصية»، ص ١٩٣



بن عيسى قاضي الدرعية، أجلّ علماء نجدٍ وقتها، الذي اعترف بجهله بحقيقة التوحيد قبل مجيء دعوة الشيخ، كما ذكر آنفاً.

وأما الآخرون المنسوبون إلى العلم: فإنّ منهم من وافقه في أوّل الدعوة، ثم نكص على عقبيه، وأنكرها بعد المعرفة؛ مثل سليمان بن سحيم<sup>(٦٨)</sup>. ومنهم من عارضه وأبى الإقرار بها منذ بداية الدعوة، مثل: عبد الله بن عيسى المويس. ومنهم من وافق سرّاً وأنكر علناً.

### الوجه الثالث: موافقة العلماء لما ذكره ابن غنّام عن الحالة العلمية والدينية لنجد قبل الدعوة

لم ينفرد ابن غنّام وابن بشر في وصف الحالة العلمية والدينية لنجد قبل الدعوة، والذي كان محلّ نقدٍ عند مَنْ سمّينا من الباحثين، بل وافقهما غيرهما من العلماء، منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه، وقد كرّر ذلك في رسائله، وعلى هذا فإنّ ابن غنّام وابن بشر لم يكونا المصدر الوحيد في وصف تلك الحالة. بل إنّ

---

(٦٨) سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن سحيم. ولد سنة ١١٣٠هـ في المجمعّة عاصمة مقاطعة سدير، وتلقّى عن علماء نجدٍ منهم والده، ثم استوطن بلدة معكال إحدى القريتين التين تكوّنت منها مدينة الرياض، فأقام فيها حتى صار مفتيها وشيخها زمن دهاّم بن دّواس أمير الرياض، فلما أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بالدعوة وافقه ابن سحيم أول الأمر، ثم نكص على عقبيه وصار من أشدّ خصومها، وأكثرهم اجتهداً في الصّدّ عنها حتى كاتب العلماء في البلدان، يحرضهم على الشيخ، ويستعديهم على الدعوة، ويطلب خطوطهم في تبديع الشيخ وتضليله. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة لعبد الله بن سحيم: (فإنّ الذي راسلكم هو عدوّ الله ابن سحيم، وقد بيّنت ذلك له فأقرّ به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أنّ هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكنّ أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أنّ العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحقّ فلايّ شيء لم تُنْهَوْنا عن عبادة شمسان وأمثاله، فتعذّروا أنّكم ما سألتُمونا، قالوا: وإنّ لم نَسألكم كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحونا، وظنّوا أنّ يأتيهم في هذا غضاضة وأنّ فيه شرفاً لغيره). وقد استمرّ مناوئاً للدعوة فلما رأى انتشارها وتمكين الله لها رحل إلى الزبير، وتوفّي فيها سنة

١١٨١هـ. انظر: «الرسائل الشخصية» ص ٦١، «علماء نجد في ثمانية قرون»

الشيخ قد ذَكَرَ في رسائله من الأضرحة والمقامات في نجد، ومن أسماء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم الولاية والتصرّف، ويصرفون لهم حقّ الله تعالى من الذبح والنذر والاستغاثة، ما هو أبلغ مما ذكره ابن غنّام وابن بشر في تاريخيهما.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: (وأنا أخبركم عن نفسي والله الذي لا إله إلا هو، لقد طَلَبْتُ العلم، واعتقد مَنْ عَرَفَنِي أَنَّ لي معرفةً، وأنا ذلك الوقت لا أعرفُ معنى لا إله إلا الله، ولا أعرفُ دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنْ الله به، وكذلك مشايخي ما مِنْهُمْ رجلٌ عَرَفَ ذلك، فَمَنْ زَعَمَ من علماء العارض أَنَّهُ عَرَفَ معنى لا إله إلا الله، أو عَرَفَ معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زَعَمَ عن مشايخه أَنَّ أحداً عَرَفَ ذلك فقد كذب وافترى، ولَبَسَ على الناس، ومَدَحَ نفسه بما ليس فيه) (٦٩).

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: (ثم هؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء، اشتدَّ إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك - أي: التوحيد -، وزَعَمُوا أَنَّهُ دينٌ جديد، ومذهبٌ خامس، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ من مشايخهم وَمَنْ قبلهم، ولقد صَدَّقُوا في ذلك. وبالجملّة: فهذا الحديث قد خالف أهواءهم، من وجوه متعددة: الأول: أَنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَهُ، مع كونهم يظنون أنهم من العلماء...) (٧٠).

وقال في موضع آخر: (وهذا الشرك الذي أذكره اليوم قد طَبَّقَ مشارق الأرض ومغاربها إلا الغرباء المذكورين في الحديث وقليل ما هم) (٧١).

(٦٩) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب»، القسم السادس «الرسائل الشخصية»، ص ١٨٧

(٧٠) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ٥٣٦/٧

(٧١) «مؤلفات محمد بن عبد الوهاب»، القسم السادس «الرسائل الشخصية»، ص ١٦٧

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -: (وَعَمَّ الشُّرْكُ وَالْبِدْعُ إِلَى مُتَنَصِّفِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِذْ ذَاكَ عَالَمٌ أَنْكَرَ شُرْكَاً أَوْ بَدْعَةً مِمَّا صَارَ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ) (٧٢).

ولك أن تنظر إلى الدرعية، وهي مهد الدعوة المباركة، وما كان فيها من الضلالات قبل مجيء الدعوة الإصلاحية المباركة، فقد نقل ابن غنّام عن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بعض ما كان يفعله والده الإمام محمد بن سعود قبل مجيء الدعوة، فقال:

(أنه أعمى عيني إنسان من البرية) (٧٣)، لما صدر منه عليه بعض أذية، وأنه يجعل على من سار معه قلعة حديد قوية، وكانوا يصلونه بأفخر الصلوات، ويهدون إليه كرام الخيل النجيبات، يخافونه لأجل سرّه ويرتجون، {قل الله أذن لكم أم على الله تفترون}، فقد حكى لنا عبدالعزيز الإمام - حرسه الله تعالى - أن والده محمد أعطى تاجاً سبعا من الخيل الجياد حتى يكون له منه مدد وإمداد، فيحفظه ويحوطه عمن قصده بسوء وأراد، ويكون مستمرا على حكم البلاد، وهو مع ذلك متبجح بما كانوا إليه يصرفون، {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلقون}. وفي الدرعية أيضا قبر يُسمّى قبر المغربي، يأتونه لقضاء الحوائج والأغراض، ورفع الأسقام والأمراض، وكان أكثر أولئك الطعام يهدون للجنّ الطعام، ويقولون اقبلوا هديتنا وابروا شكيتنا وشبه هذا الكلام ويزبحون لهم ويتقربون) (٧٤).

---

(٧٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ٢٢٠/٢

(٧٣) يقصد شخصا من الطواغيت الأحياء اسمه «تاج» في بلد الخرج، يعتقدون فيه الولاية ويصرفون له حق الله من العبادة. وسيأتي التعريف به.

(٧٤) منقول من مقال بعنوان «عود على بدء روضة الأفكار والأفهام للشيخ ابن غنّام» للدكتور عبد الله بن محمد المنيف،

ولك أن تقارن بين ما ذكره الصنعاني والنُّعمي اليمانيّين، وما ذكره ابن غنّام وابن بشر عن الحالة العلمية والدينية لبلاد المسلمين في تلك الفترة، لترى التوافق الظاهر بين الفريقين. واليمن كانت أقرب إلى واقع الجزيرة من غيرها من الأقطار.

## الوجه الرابع: إقرار خصوم الدعوة بصحة تصوير ابن غنّام

إنَّ معارضي الشيخ وخصومه من المنسوبين إلى العلم في نجد قد أقرُّوا بمثل ما ذكره ابن غنّام وابن بشر في وصف حال الناس قبل ظهور الدعوة:

فإنَّ سليمان بن عبد الوهاب<sup>(٧٥)</sup>، أحدَ أكبر خصوم الشيخ ومعارضيه، ذكَّر بعض أنواع الشرك الأكبر التي أنكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الناس، ومثَّل بالذبح لغير الله، والنذر لغير الله، ودعاء الموتى والاستغاثة بهم، ثم قال بعد ذلك: (ومعلومٌ عند الخاص والعام أنَّ هذه الأمور -يعني: دعاء الموتى والذبح والنذر لهم- ملأت بلاد المسلمين، وعند أهل العلم منهم أمَّها ملأت بلاد المسلمين أكثر من سبعمائة سنة)<sup>(٧٦)</sup>.

---

(٧٥) سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهبي التميمي، شقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في بلدة العيينة، وأخذ عن والده وعن غيره من علماء نجد، ثم انتقل إلى حريملاء مع والده سنة ١١٣٩ هـ، وولي القضاء فيها بعد وفاة والده سنة ١١٥٣ هـ، فلما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة وأعلن بالدعوة، لم يظهر من أخيه سليمان مخالفة، بل كان موافقاً له. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: (فإنَّ أخاه سليمان تابعه على هذا الدِّين عددًا من الأعوام والسنين، فاتفق له بعد ذلك ما أوجب فتنته؛ ولأنَّ أهل حريملاء الذين كان إمامًا لهم استفزَّهم الشيطان بكراتهم للجهاد، لما طُلب منهم أن يجاهدوا مَنْ أنكر التوحيد، فتابعهم سليمان على فتنتهم فشرد إلى جمعة سدير)، ولما تغير موقف سليمان من دعوة أخيه، كان يكتُم ذلك، ويكتب أهل القرى سرًّا ويثير الشبهات حول الدعوة، حتى تسبَّب في رجوع حريملاء عن متابعة الدرعية، ونكث العهد، وقد ردَّ الشيخ على شبهات أخيه في رسالته «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد». وقد كتب سليمان رسالة إلى حسن بن عيدان يرَدُّ فيها على دعوة الشيخ ويورد عليها الشبهات، وهي الرسالة المعروفة بـ «فصل الخطاب في الردِّ على ابن عبد الوهاب»، وقد طبعت تحت عنوان «الصواعق الإلهية في الردِّ على الوهابية». رَحَلَ بعد انكشاف أمره إلى المجمععة، فلما امتدَّت الدعوة إلى سدير، وفَدَّ سليمان على أخيه سنة ١١٩٠ هـ تائبًا كما ذكر ابن غنّام، فأكرمه الشيخ وبقي في الدرعية حتى وفاته سنة ١٢٠٨ هـ. على أنَّ توبته ليس محلَّ اتفاق بين المؤرخين. انظر: «الدرر السنية» ٣٢٩/١٢، «علماء نجد في ثمانية قرون»

(٧٦) «الصواعق الإلهية في الردِّ على الوهابية» ص ٧

وقال أيضاً: (هذه الأمور التي تجعلون بها المسلم كافراً، بل تُكفرون مَنْ لم يُكفره، قد ملأت مكة والمدينة واليمن من سنين متطاولة، بل بَلَّغْنَا أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، فِي الْيَمَنِ وَالْحَرَمِينَ)<sup>(٧٧)</sup>.

وهذا إقرارٌ من خصوم الشيخ بانتشار هذه المظاهر، ليس في وقت الشيخ فحسب، بل وقبل وقته بسنين طويلة.

وَمَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَاتِ الْمَعَارِضِينَ لدعوة الشيخ من خارج نجد، كالتى جاءت من الإحساء والبصرة ومكة التى جاءت استجابةً لدعوات النّجديين، تَبَيَّنَ لَهُ صحة ما ذكره الشيخ وابن غنّام وابن بشر في وصف حال الجزيرة، فَإِنَّ كِتَابَاتِهِمْ جاءت تُقَرِّرُ ضِدَّ ما دعا إليه الشيخ من التوحيد الخالص، بل تُجَوِّزُ الشّركَ في العبادة، والاعتقادَ في الغائبين، وهذا ثابتٌ في رسائل علماء الإحساء، كرسائل محمد بن عفالق إلى عثمان بن معمر، وكتابات محمد بن عبد الله بن فيروز عالم الإحساء، ثم العراق، وكتابات علماء البصرة كأحمد القباني، وكما جاء في رسالة علماء الحرمين جواباً على رسالة سليمان بن سحيم التى خطَّ علماء نجد عليها توقيعهم إقراراً بما فيها من تجويز دعاء الأموات والاستشفاع بهم، وحَصْرِ الشّركِ باعتقاد التأثير، على ما يأتي بيانه مفصلاً.

---

(٧٧) «الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية» ص ٣٤-٤٤

## بعض مواضع النقد على كلام الدكتورين العثيمين والبسام

من مواضع النقد على الدكتور أحمد البسام: أنه ذَكَرَ وجود غارٍ في الدرعية يُعتقد فيه، وينتابه الناس، وذَكَرَ وجود بعض التوسّل بالجنّ والذبح لهم، ثم قال: (لكن لا يُحكم على الجميع)<sup>(٧٨)</sup>.

وقد ذَكَرَ الدكتور عبد الله العثيمين نحو هذا الإيراد، حيث قال: (ومن الملاحظ أنّ الأمور التي ذَكَرَ ابن غنّام وجودها محصورةٌ في منطقة نجدية معينة، وأنّه لم يُشِرْ إلى وجود مثل هذه الأمور في المناطق النجدية الأخرى، فهل عدم إشارته دليل على عدم وجودها في تلك المناطق، أم هو - على الأقل - دليل على عدم بلوغها الدرجة التي وصلت إليها في منطقة العارض؟)<sup>(٧٩)</sup>.

والحقيقة أنّ سببَ هذا الإيراد: ضعفُ التّأصيل الشرعي لدى الباحثين، فإنّ هذه الأفعال والممارسات الشريكية المحدودة - حسب زعمهما -، إذا قوبلت بالقبول وعدم الإنكار، كان حال المُقرّر كحال من يَعتقدُ فيها ويفعلُها، فكيف إذا عَلِمْنَا أنّهم زادوا على مجرد الإقرار بها: بالدفاع عنها وتزيين فعلها وقتال من أنكرها وبغض من عاداها. ولا شكّ في كفرٍ من أقرّ مثل هذه الأفعال والممارسات الشريكية ودافع عنها وأنكر على من أنكرها وإن لم يفعل تلك الأفعال ولم يمارس تلك الممارسات، وهذا هو محور أكثر الصّراع بين الشيخ وخصومه.

---

(٧٨) لقاء بعنوان «نجد ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى» منشور في موقع يوتيوب في الشبكة العنكبوتية

(٧٩) «نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٩٢

ومن عجيب الأمر أنَّ الدكتور عبد الله العثيمين لما نَقَلَ كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وصف الحالة العلمية والدينية لنجد، قال: (أمَّا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ذَكَرَ اعتقاد الجهال بأناس معينين؛ مثل تاج وشمسان وخطَّاب وإدريس<sup>(٨٠)</sup>، كما ذَكَرَ عن أحد خصومه من العلماء النجديين بأنه يتعاطى الطلاسَم، وأنَّه كان يوجد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض في معكال)<sup>(٨١)</sup>.

ثم أجاب الدكتور عن ذلك بقوله: (أما بالنسبة لما أورده الشيخ محمد - رحمه الله - فإنَّه من الواضح أنَّ ما ذَكَرَهُ عن الطلاسَم خاصٌّ بأحد مناوئيه، وقد نصَّ المنقور في الفواكه على أنَّ من علماء نجد مَنْ كان لا يكتفي بكراهية الطلاسَم، وإنَّما

---

(٨٠) قال ابن غنَّام: (وعندهم رجلٌ يُسمَّى تاج، سلكوا فيه سبيل الطواغيت في الانتهاج، فَصَرَفُوا إِلَيْهِ النَّذْرَ والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضَّرَّ والإفراج، وكانوا يأتون إليه لشأنهم أفواج، ويأتي إليهم في الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور والخراج {وَلِيَّائِهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} وكان لجميع أهل تلك البلدان، وسكَّان تلك الأماكن والأعطان، فيه من الاعتقاد أعظم شأن، فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان، ويهاب أعوانه وحاشيته كل أنسان، فلا يتعرَّضونهم بما يكرهون، ويدَّعون فيه دعاوى عظيمة، وينسبون إليه حكايات شنيعة، كانت ألسنتهم لها مديعة، ولبهتانها مشيعة، وهم لِيَّيْنَهَا وَزُورُهَا مُصَدِّقُونَ، فيزعمون أنَّه أعمى ويأتي من بلد الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي محطُّ رحال المشركين). «روضة الأفكار والأفهام» (٨/١). وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في التعريف بشمسان وتاج: (إنَّ يوسف وشمسان وتاج أسماءُ أناس كفرة طواغيت، وليست أسماء مواضع. فأما تاج فهو من أهل الخرج تُصَرَّفُ إليه النذور، ويُدعى، ويُعتقد فيه النفع والضَّرَّ، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يُتعرض لهم بمكروه، بل يُدعى فيهم الدعاوى الكاذبة، وتُنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما يُنسب إلى تاج أنَّه أعمى ويأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده. وأما شمسَان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة - رحمه الله - أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يُعتقد فيهم). «فناوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» ١/١١٧، وانظر: «الدرر السنية» ١/٣٧٦.

(٨١) «نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٩٠



يُحَرِّمُهَا مطلقاً، والمتصوفة الذين أشار إليهم الشيخ محمد إلى وجودهم في معكال، لم تَرِدْ أَسْمَاؤُهُمْ من بين علماء نجد<sup>(٨٢)</sup>.

قلت: وهذا من عجيب أمر الدكتور عبد الله العثيمين - رحمه الله -، فإنَّ كلامه يوحي بأنَّ هذه الأمور الثلاثة هي مستند الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حُكْمِهِ على واقع علماء وقته في نجد فَحَسْبُ؟! بينما كانت خصومته مع علماء وقته تدور حول موقفهم من توحيد العبادة، وامتناعهم من الإقرار به، وتزيينهم الشرك في العبادة، ودفاعهم عن المشركين، وامتناعهم عن الحكم عليهم بالشرك، فضلاً عن مناصرتهم وموالاتهم، والذبَّ عنهم بالنفس والمال والجاه، كما سيأتي بيانه مفصلاً.

وليت الدكتور العثيمين وقف عند هذا الحدّ، بل قد تجاوز ذلك إلى حدّ التشكيك ببعض ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب عمَّن يعرفهم من أهل زمانه.

قال الدكتور عبد الله العثيمين: (رسائل الشيخ تشير إلى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض، مثل ولد موسى بن جدعان، وسلامة بن مانع. وأفراد مغمورون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعتة آية صلة. لكن إذا سلّم بصحة ما وردَ في رسالة الشيخ، فإنه يُلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكون جزءاً من مدينة الرياض الحالية)<sup>(٨٣)</sup>.

فانظر إلى قوله: (إذا سلّم بصحة ما ورد في رسالة الشيخ)؟!!

---

(٨٢) «نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٩٤

(٨٣) «بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ١٠٢/١

هكذا يشكك الدكتور - عفا الله عنا وعنه ورحمه - بصحة ما ذكره الشيخ البارّ الراشد الصادق عن بعض أهل زمانه.

ولا شك أنّ هذا إلى العبث أقرب منه إلى النقد والتحقيق، إذ لا يصحُّ ولا يسوغ ردُّ أخبار الثقات الأثبات المأمونين بمثل هذه التخرّصات والظنون والأوهام، ولو ساغ مثل هذا لما صحّ نقلُ، ولا ثبت خبرٌ، ولم يُفَرَّق حينئذ بين خبر الثقة وغير الثقة، ولا بين خبر من عاين ومن لم يعاين، ولا بين خبر من عاصر ومن لم يعاصر، ولعبث بالتاريخ.

والحقيقة أنّ المواضع المتقدمة من كلام الدكتور عبد الله العثيمين وأحمد البسام حول حقيقة الصراع بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناوئيه كثيرة، من أخطرها طريقة عرضهما لذلك الصراع والنزاع، فإنَّهما عَرَّضَا تلك الخصومة وذلك النزاع عَرَّضَا فيه نوع تهوينٍ من تلك المعارضة التي وقعت للشيخ رحمه الله في دعوته، من صور هذا التهوين: الإفاضة في ذكر أسباب تلك المعارضة، ومحاولة إيجاد أعذار عديدة للمعارضين، بل إنّ الدكتور أحمد البسام أورد لخصوم دعوة الشيخ ومعارضيه أسباباً، والتمس لهم أعذاراً ودوافع لتلك الخصومة لم تَرِد في كتابات المعارضين أنفسهم ورسائلهم، بل هو نفسه استخرج من خلال استقراء رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجوبته ما يُمكن اعتباره سبباً وعذراً، كالتمس لهم العذر، مثل: وصف الشيخ المعارضين له بالجهل، وتشبيه معارضيه بأعداء الأنبياء، وتعبير الشيخ بعبارات لا يطمئن لها المخاطبون لإشعاره لهم بفضله عليهم، وتشبيه حال معارضيه بحال المبتدعة من خلال استدلاله بأقوال ابن تيمية ضد معارضيه، وغيرها من الأسباب<sup>(٨٤)</sup>. ولا شك أنّ طريقة العرض هذه، على

---

(٨٤) لقاء بعنوان (أسباب معارضة الدعوة) منشور في اليوتيوب في الشبكة العنكبوتية

أقل تقدير، تؤدي إلى تهوين أمر تلك المعارضة عند السامع والقارئ، وتخفيف درجة إنكاره لها، بل والتماس العذر للمعارضين، مع كونها واقعةً في صلب الدين وأساسه وأصله العظيم، فإنها من جنس معارضة أعداء الأنبياء لأنبيائهم.

وليت الدكتور أحمد البسام وقف عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك حتى عدّ فوائد لتلك المعارضة، ذكّر منها: فتح باب المناقشة والمناظرة، وإثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفات الفريقين<sup>(٨٥)!</sup>؟!، بل وتحسّر على إتلاف بعض كتابات الخصوم؟!<sup>(٨٦)</sup>.

ولذلك فإنّ من المهمّ تتبع كلام الدكتورين: العثيمين والبسام، والتنبيه على ما وقع فيه من أخطاء وأوهام، نصرّة للدعوة الإصلاحية، ونصحاً للعباد.

---

(٨٥) «الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها» ص ٣٧٦

(٨٦) في لقاء بعنوان: «نجد ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى» في موقع اليوتيوب.

## جدول المحتويات

١	الفصل الأول .....
١	الحالة العلمية والدينية لنجد وقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .....
١	وصف ابن غنّام للحالة الدينية لنجد قبل ظهور الدعوة .....
٥	أقوال العلماء في وصف الحالة العلمية والدينية في بلاد الإسلام قبل ظهور الدعوة .....
٦	أولاً: مقالات العلماء المعاصرين لفترة الدعوة وما قبلها .....
٦	الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: ١١٨٢ هـ) .....
٦	حسين بن مهدي التُّعْمِي اليماني (ت: ١١٨٧ هـ) .....
٧	علامة الشام محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨ هـ) .....
٩	علي بن محمد بن عبد الله السويدي البغدادي الشافعي (ت: ١٢٣٧ هـ) .....
١٠	محمد بن علي الشوكاني اليماني (ت: ١٢٥٠ هـ) .....
١١	العلامة شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠ هـ) .....
١٣	الوزير والمؤرخ التركي أحمد جودت باشا (١٢٣٧-١٣١٢ هـ) .....
١٤	ثانياً: مقالات العلماء المتقدمين عن واقع بلاد المسلمين .....
١٤	محدث الشام أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥ هـ) .....
١٥	شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) .....
١٥	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت: ٧٥١ هـ) .....
١٥	العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت: ٨٧٩ هـ) .....
١٦	أبو الحسن علي بن ميمون الغماري الفاسي (ت: ٩١٧ هـ) .....
١٧	منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت: ١٠٥١ هـ) .....
١٨	وصف العلماء لحال البادية .....
١٨	العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت: ٨٥٠ هـ) .....
١٨	محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي الشافعي (ت: ١١٤٧ هـ) .....
١٩	برهان الدين إبراهيم بن محمد البيجوري الأزهري (ت: ١٢٧٦ هـ) .....
٢٠	وصف الرحالة الأوروبيين للحالة الدينية في نجد .....
٢٠	الرحالة والكاتب الفرنسي لويس دو كورانسبه (ت: ١٢٤٨ هـ) .....
٢٣	الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت (ت: ١٢٣٢ هـ) .....

٢٣	الرحالة الفنلندي فالين (ت: ١٢٦٨هـ).....
٢٣	الرحالة البريطاني وليام جيفور بالجريف (ت: ١٣٠٥هـ).....
٢٤	الكولنيل لويس ييلي البريطاني (ت: ١٣٠٩هـ).....
٢٤	دافليتشن أحد ضباط الأركان العامة في جيش روسيا القيصرية .....
٢٦	الرحالة الألماني أوبنهايم (ت: ١٣٦٥هـ).....
٢٦	الرحالة البريطاني برترام توماس (ت: ١٣٧٠هـ).....
٢٦	الوكيل السياسي البريطاني في العراق والبحرين والكويت هارولد ديكسون (ت: ١٣٧٨هـ).....
٢٨	اعتراض الدكتور عبد الله العثيمين والدكتور أحمد البسام لوصف ابن غنّام .....
٣١	أوجه الردّ على اعتراضات المنتقدين لوصف ابن غنّام وابن بشر .....
٣١	الوجه الأول: وصفُ الأشخاص بالعلم لا يستلزم وصفهم بصحة العقيدة .....
٣٩	الوجه الثاني: موقف المنسوين للعلم من دعوة الشيخ في وقته يؤكد صحة الوصف .....
٤١	الوجه الثالث: موافقة العلماء لما ذكره ابن غنّام عن الحالة العلمية والدينية لنجد قبل الدعوة .....
٤٥	الوجه الرابع: إقرار خصوم الدعوة بصحة تصوير ابن غنّام .....
٤٧	بعض مواضع النقد على كلام الدكتورين العثيمين والبسام .....